ماذا خسر العالم الإسلامى بمعاهدة السلام مع إسرائيل ؟! .. بقلم _ ممدوح المنير

الثلاثاء 31 مارس 2009 12:03 م

31/3/2009

فى ذكرى مرور ثلاثين عاما على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، هل كانت هذه المعاهدة فاتحة خير على مصر
و العالم الإسلامى أم نذير شؤم ؟ .
قبل أن أجيب عن هذا التساؤل ، شاءت الأقدار أثناء فترة إعتقالى سابقاً أن اقرأ كتاب (طريق مصر إلى القدس) للدكتور بطرس غالى الذى يشرح فيه مفاوضات عملية السلام مع إسرائيل و كان حينها وزير دولة للشئون الخارجية و كنت كلما تعمقت فى قراءة الكتاب كلما أدركت حينها لماذا أنا معتقل ؟! ، و لماذا تحول الوطن إلى سجن كبير نحيا فيه جميعا!!.
كان أبلغ ما فى الكتاب المزدحم بالتفاصيل ما قاله بطرس غالى و كرره مراراً فى ثنايا الكتاب من أنه كان يشعر بإستياء و دهشة بالغة من طريقة إدارة السادات للمفاوضات مع الطرف الصهيونى و السبب فى ذلك الإستياء أنه رغم وجود فريق تفاوض مصرى كبير إلا أنه فى حقيقة الأمر لم يكن هناك دور حقيقى لأى من أعضاء الفريق ، فالذى يقوم بالمفاوضات فى واقع الأمر و يأخذ القرارات دون رجوع إلى أحد هو الرئيس المصرى !! ، بل يصف بطرس غالى الحال الذى وصل إليه الأمر حين يقول ما ملخصه (أنه حتى المعلومات الخاصة بالعملية التفاوضية لم يكن يُطلع – السادات - أحد منّا عليها ووصل بنا الحال أننا إذا أردنا أن نعرف معلومة عن موقف (مصر) التفاوضى سألنا بشكل غير مباشر الطرف (الأمريكى) !! ، فيخبرنا هو فى حين يمتنع الرئيس المصرى !! .
حين يدار ملف بهذه الخطورة ، بهذا الشكل الموغل فى الفردية و عندما يكون الوزراء مجرد طقم سكرتارية للرئيس فعلينا أن نعرف كيف وصلنا إلى ما نحن عليه.
بداهة أنا هنا لا أدافع عن موقف بطرس غالى و أقرانه فالسلام مع إسرائيل مرفوض لدىّ شكلاً و موضوعاً من حيث المبدأ .
لكن ما حدث حين وقعت معاهدة السلام ، كان بالغ الدلالة و المرارة على العالم العربى و الإسلامى ، لم تكن الصدمة هينة ، فعندما يسقط الكبار فى الوحل فإن الرزاز لا بد أن يطال الجميع .
لم يعد للعالم الإسلامى دولة قائدة و أنعزلت مصر إختيارياً خلف حدودها و أنكفئت على نفسها وانفردت إسرائيل بالجميع ، لم تكن الخسارة فى الأرض فقط متمثلة فى الإحتلال لفلسطين و لبنان و الجولان ، لكن الأخطر فى ذلك السعى الحثيث لتحويل إسرائيل من عدو لدود إلا صديق ودود !! هكذا أرادوا لنا و هكذا أصبحت إسرائيل بالنسبة لكثير من القادة العرب .
المصيبة الأكبر لم تكن فقط فى تحويل إسرائيل لصديق و إنما فى الطريقة ، فبدلاً من أن (تتغير) إسرائيل حتى تنال صداقتنا أصبح المطلوب أن (نتغير) نحن لننال وُدها !! ، فإسرائيل تمضى سادرة فى غيّها و نحن علينا (التأقلم) مع الوضع الجديد .

الطامة الكبرى أن هذا المطلب – الصداقة متمثلة فى التطبيع – قوبل برفض عارم من الشعب المصرى و العربى ، وهنا وجب أن (يتغير) الشعب ذاته حتى يقبل بالسلام أولاً و التطبيع ثانياً !! ، و هنا فقط بدأت أشد فصول المأساة.

تحول الشعب المصرى و من ورائه الشعوب العربية و الإسلامية لهدف للمشروع الصهيونى الغربى بأيادى مصرية و عربية غايته أن يصبح المواطن لدينا قابل للإستعمار بعد أن كانت لديه مقومات النضال ، فتم إقصاء درع الحماية الأول لديه (الإسلام) من حياته و بعد أن كان الحديث يدور وقتها حول تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر ، أدخل هذا الملف إلى غياهب الجب و لازال !! .

و بدأ الغزو الثقافى المدمر يقصف مواقعنا الحصينة حتى سقطت الواحدة تلو الأخرى ، فغابت قيم التعاون و التكافل فى مقابل إزياد قيم الأنانية المفرطة و الشح و أصبحت كلمة مثل الحرية تعنى التحلل من الأخلاق بعد أن كانت تعنى التحرر من الإستعمار !! ، ثم سقطت الأسرة و أنحل عراها فكثر الطلاق و الشقاق ثم بدأ تفكيك المجتمع بالكلية فعزلت كل شريحة من المجتمع عن الأخرى ، فانطلقت المرأة تبحث عن حريتها بمعزل عن الرجل بدعوى المساواة ، و انعزل الأبناء عن جيل الآباء و أصبح لهم عالمهم الخاص الذى لا يعلم عنه الآباء شيئاً بعد أن إنشغلوا بلقمة العيش و أُحدثت فتن طائفية بين المسلمين و المسيحيين و أصبح التربص بالآخر هو الغالب فى العلاقة بينهما و بنى الأغنياء الأسوار العالية العازلة حول مدنهم الخاصة التى لا مكان فيها لفقير .

لم يقف التفكيك عند هذا الحد بل صاحبه تغريب كامل للمجتمع فأنشأت الجامعات و المدارس الأجنبية فأصبح الطالب يتخرج و لا يعرف شيئاً عن دينه أو تاريخه أو أمته !! فى حين يُلم بكل تفاصيل الحياة الغربية ، حتى النخب المثقفة أصيبت بنفس الداء فعزلت عن المجتمع و ظلّ أغلبها حبيس الغرف المغلقة جبراً أو إختياراً اللهم إلا القليل من الأسوياء .

و تواصل القصف و تم التركيز على وسائل الإعلام التى تصل إلى كل بيت و أصبحت إثارة الغرائز و تمجيد قيم الحضارة الغربية هو الغالب فى كافة وسائل الإعلام و أصبح من المعلومة بالضروة أن كل فيلم و أو مسلسل هو قصة حب و سيجارة و كأس !! .

هكذا أريد لنا أن نتغير حتى نقبل بإسرائيل ، و العجيب أننا أصبحنا مطالبين الآن لا أن نقبل بإسرائيل و حسب بل علينا كذلك أن نقبل بأمريكا و حلفائها فى العراق و أفغانستان و السودان و الخليج و جنوب لبنان هذا هو واقع العالم الإسلامى بعد ثلاثين عاماً من السلام مع إسرائيل إحتلال ، تفكك ، تخلّف ، إستبداد .

لكن رغم ظلامية المشهد تظل هناك نقاط ضوء تلمع وسط بحر الظلمات الذى نحيا فيه ، إنها الصحوة الإسلامية و الوطنية المباركة التى أبت إلا الصمود أمام معاول التفكيك و التغريب فكانت بارقة الأمل الذى أحيا الموات فى النفوس

و سوف يأتى اليوم بإذن الله الذى تصبح فيه هذه الإتفاقية المشئومة أثراً بعد عين و السلام ختام .

*** كاتب و باحث مصرى**